مجلة الإمارات للبحوث الهندسية 18 (1) 1-15 (2013)
(مقالة نظامية)

فن وعلم بناء عِمارة وعُمران المدائن الحضرية التصميم الحضري

عبير محمد رضا الشاطر
كلية الهندسة–جامعة عين شمس

هشام محمد جلال أبو سعدة
المركز القومي لبحوث الإسكان والبناء

(وردت أكتوبر 2012 وقبلت للنشر مايو 2013)

Since people's life began -a stone and humans- to take a form, the population spared to take the form of endemism communities on the earth planet. This sprawl provides to the world the promise of architecture in Bedouin towns and rural and urban areas. The time when the early beginnings of the emergence of human settlement, is the day that has never been mention of any science dealing with the architectural and urban successor rights of the buildings. The first signs of urban cities and towns appear in all human civilizations developed. The science of architecture and urbanization only began since the middle of the second millennium AD. Thus, there is jurisdiction professionally came to support the extension of urban planning known since the beginning of the millennium or before. It is the urban design. Prowling woke Schools of Architecture and Urbanism, to identify his ideas (philosophies), theories, trends, methods, mechanisms and techniques. Therefore, the current article introduces a prologue that worth to read. It reviews the theory and trend dealing with the urban design. This introduction and its application are necessary to be adopted by the institutions of Arab societies. These may help to solve some of its problems and puberty finest urban horizons.

Key words: Urban Design, Urbanization, Theories and History, Urban Cities.

منذ بدأت حياة الناس– حجر وبشر– تأخذ أشكالًا لِتجمعاتٍ مدينيةٍ بين عامة الناس؛ لتتحول لتأخذ شكل التوطن في مستقراتٍ بشريةٍ على كوكب الأرض، تبينت للعالم بشائر ملامح عِمارة وعُمران المدائن البدوية والريفية والحضرية. ففي زمن البدايات المبكرة لنشأة تلك المستقرات البشرية، يوم لم يكن أبدًا ثمة ذكر لأيَّة علومٍ تتعامل مع عِمارة وعُمران ما يُخلفه الإنسان من بناءٍ، بانت أولى بشائر المدائن والبلدات الحضرية الأقل منها حجمًا في كافة الحضارات البشرية المتقدمة. إنما لم يتبين لها اختصاصًا مهنيًا يُمكن أن يُطلق عليه فن وعلم عِمارة وعُمران المدائن إلّا منذ مُنتصف الألفية الميلادية الثانية، فبان أن ثمة اختصاصًا مهنيًا جاء ليُدعم امتداد التخطيط الحضري المعروف منذ بداية الألفية أو قبلها، فذلك هو اختصاص التصميم الحضري. ليجوب أفاق مدارس تعليم العِمارة والعُمران، لتتبين له أفكار (فلسفات) ونظريات واتجاهات وطرائق وآليات وفنيات. يهتم المقال النظامي الحالي بتقديم لمحة مُختصرة جديرة بالقراءة والمراجعة عن هذا الاختصاص الذي بات بالضرورة أن تتبنى مؤسسات المجتمعات العربية تطبيقاته في الألفية الثالثة لحل بعض مُشكلاتها والبلوغ بها نحو أفاق مدينية أرقى.

الكلمات المفتاحية: التصميم الحضري، عمارة وعمران المدائن الحضرية، تاريخ فكرونظريات، المدن الحضرية.

مقدمة

أصبح تعريف الممارسين المهنيين بالمهام الرئيسة لمجال التصميم الحضري من الضروريات الملحة داخل الواقع المصري المعاصر. الأمر الذي يتطلب أن تكون البداية من طلاب أقسام العِمارة والعُمران وانتهاء بالممارسين في الواقع العملي، مرورًا بالباحثين العلميين والممارسين في مجالات الاختصاص المتماسة مع مجال الاختصاص الرئيس (التصميم الحضري)، ذلك قبل انطلاقهم لتعلم طرائق وفنيات ومهارات التطبيق في تمارين مراسم التصميم أو في أروقة واقع الممارسة الفعلي.

كما أن توصيف مجالات الممارسة وحصرها في مجال عام يُمارسه الأغلب الأعم من المُختصين في ميدان العِمارة والعُمران وهو استدامة المدائن الحضرية في ضوء الغاية العامة وهي مدن قابلة للعيش فيها، ثم العودة لتصنيف مجالات الاختصاص في ثلاثة أبعاد رئيسة تتضمن أبعادًا فرعية هي البعد الإنساني: الإدراك البصري والحسي وملامح الهوية، والبعد المادي الملموس: الإدراك المعرفي وتشكيل البنية المكانية/الفراغية، والبعد المجتمعي: الثقافي– الاجتماعي: ضوابط السلوك–البنية المكانية والمدينة علامة. فثمه أهمية بتعريف الطلاب وممارسي المهنة أن التصميم الحضري يأخذ غايات الشعب الحياتية مُنطلقًا لتصميم المدائن الحضرية وأمكنة العيش فيها، ومن ثم لم يعد

مجال الاختصاص تصميم المدائن الحضرية المجردة إنما تصميم أمكنة لحياة شعوب المدائن الحضرية.

1- إطلالة على عِمارة وعُمران المدائن الحضرية

لم يكن للتصميم الحضري بشكله الحالي وجود قبل فترة الستينيات، إنما كان يأتي ضمن نطاق تخطيط ومناظر البلدات/المدن، وعليه مرّ بعدة مراحل على النحو الذي يبينه الجدول (1) والجدول (2): أولًا- تخطيط المدن وفق المباديء الفنية، (1889-1903م)، كاميلو سيت، ثانيًا- تصميم المدينة مع العِمارة والعُمران: أوتو فاجنر، ثالثًا- حركة المدن الأمريكية الجميلة في القرن العشرين+ تشارلز ملفورد روبنسون، رابعًا- فكر (فلسفة) منظر البلدة/المدينة (1948م)، خامسًا- مقدمة حول منظر البلدة/المدينة حسب جوردون كولن (1961م)، سادسًا- التصميم الحضري في التخطيط: إدراك المدينة حسب لينش (1961- 1981م)، سابعًا- مساهمة النقاد في إشهار التصميم الحضري كعلم معرفي جديد، جين جاكوبس، 1961م، آلدو روسي 1966م، روبرت فنتوري 1972م، ثامنًا- مكونات تركيب المدينة في مستوى العلاقات التشكلية: جراهام تشين 1976م، كولن رو 1975م، روب كرايير 1979م، تاسعًا- اهتمام التصميم الحضري بالعلاقة بين الناس والحيز المعاش، عاشرًا- صياغة تشكيلات البناء ضمن احترام المفهوم الأصيل للفضاء الحضري (1980م)، حادي عشر- الاهتمام بالتوافق البيئي وفكر الاستدامة، ثاني عشر- التحضر الجديد ومدن قابلة للعيش فيها.

جدول (1): تسلسل طرح فكر مراحل ونهج التصميم الحضري، (المصدر: الباحثة).

التاريخ	فكر التطور		أهم الرواد
(1889-1903م)	فن مناظر المدن	"تخطيط المدن وفق المباديء الفنية"	كاميلو سيت
(1890-1910م)،		"تصميم المدينة مع العِمارة والعُمران"	أوتو فاجنر
(1911م)		"حركة المدن الأمريكية الجميلة في القرن العشرين"	تشارلز ملفورد روبنسون
(1948م)		"فكر (فلسفة) منظر البلدة/المدينة"	
(1961م)		"مقدمة حول منظر البلدة/المدينة"	جوردون كولن
(1954م)	السياقية	"الحفاظ على الموجودات ذات القيمة مقابل فكر الإزالة"	جراهام تشبن
(1961)	التصميم الحضري في التخطيط	"صورة المدينة"	كيفين لينش
(1961م)	مساهمة النقاد في إشهار التصميم الحضري كعلم معرفي جديد: نقد حياة المدن الكبرى.	"حياة وموت المدن الأمريكية الكبرى"	جين جاكوبس
(1966م)		ظهور مُصطلح "عِمارة وعُمران المدن"	آلدو روسي
(1972)		"التعلم من لاس فيجاس"	روبرت فنتوري
(1970م)	"السياقية: "مكونات تركيب المدينة في مستوى العلاقات الشكلية.	"لغة الأنساق"، المدخل السلوكي المركب	كريستوفر الكسندر
(1975م)		"المدينة الملصقة"	كولن رو
(1979م)		"فكر ملء فراغات المدينة"	روب وليون كرير
(1980م)		"احترام المفهوم الأصيل للفضاء الحضري"	ديفيد جوزلينج وبرينت برولين
(1980- 1984م)	فكر التمدن	إدراك المدينة: "شكل مدينة جيد=قابلية للعيش+حياة سعيدة"	لوكوربوزييه، كيفن لينش
(1960-1980م)	فكر الاستدامة	"التوافق البيئي"	راشيل كاراسون، آيان ماكارج
(1993م)	مدن قابلة للعيش فيها	"فكر التمدن الجديد، المجال العام، التصميم الحضري المُستدام"	بيتر كالثروب
(2004م)		"فكر التمدن كل يوم"	مرجريت كروفورد، جون كاش،
(2009م)		"فكر ما بعد التمدن"، "المدينة العام"	ريم كولاس

بدأت عِمارة وعُمران المدائن الحضرية مُنطلقة من احترام العلاقة التناقضية بين مواضع النشاطات ممُثلة في قطع الأراضي- مهما استقرت عليها المباني المرتفعة أو المنخفضة- ومسارات الحركة والانتقال المُخصصة لحركة الناس على الأقدام. لتنتقل تلك العلاقة لينظر المختصين في جانب العناية بتأثيراتِ عمارة وعُمران المعالم التذكارية (الموجودات ذات القيمة) من مثل: المعابد والأبنية الدينية والقصور ومنشأت الحكم، ثم الخدمات المجتمعية العامة: كالمكتبات والحمامات العامة في علاقتها ببعضها البعض في مستوى وبمسارات الحركة في مستوى آخر، مع عدم إغفال العلاقة الضعيفة بينهما بمواضع نشاطات الاستعمال السكني على وجه الخصوص. بمرور الزمن كانت بل وما زالت مسارات الحركة في علاقتها بمواضع النشاطات تُمثل بؤرة الاهتمام لصياغة عِمارة وعُمران المدائن الحضرية، إنما بان أن ثمة انتظام لبدايات تلك العلاقة الوثيقة من خلال اقتراح شبكة تخطيطية مكونة من مسارات الحركة والاتصال في علاقتها

بمواضع النشاطات المبنية، لتظهر بدايات مُبكرة لتخطيط شبكي جامد، إنما بسيط، ثم يتطور كالمعتاد ليظهر التخطيط الشبكي المُرَّكب، الذي ما زال مُحتفظًا بشبكيته الجامدة، ثم انطلاقًا للتخطيط الشبكي مُكتمل التعقيد والتركيب في كافة الاتجاهات. لتعود مرّة أخرى لتُصبح معالم المدائن التذكارية مع التخطيط الشبكي مُنطلقًا لأشكال مدائن حضرية أكثر ضخامة ومِقياسًا.

جدول (2): تفاصيل مراحل تطور فكر تحولات التصميم الحضري، (المصدر: الباحثة).

1. منظر البلدة/المدينة: الوضوح البصري والإدراك الحسي					
1880	1889	1915–1890	1948–1940	1960–1950	1984–1961
أول استعمال لكلمة منظر البلدة/ المدينة	كاميلو سيت، "تخطيط المدن وفق المبادئ الفنية"، جمالية المجال العام في المدن، احتل مكانًا بارزًا في التصميم الحضري.	حركة المدينة الأمريكية الجميلة مطلع القرن العشرين، (1890–1910م)، – تشارلز ملفورد روبنسون "تحسين المدن والبلدات" و "فن المدنية الحديثة"، 1901 – 1903	– تحول اتباه كولين للفضاء العام في العام (1940م). – توماس شارب هو أول من استخدم كلمة منظر البلدة/المدينة بمعناها الحالي في العام 1940م، حيث بدت على واحد من أعماله المهتمة بتحسين المدن. – بات منظر البلدة/المدينة موضوع للتصميم الحضري مؤكدًا الإدراك البصري للبيئة.	– ركز موضوع التصميم الحضري على الإدراك البصري للبيئة المُشيدة. – قدم جوردن كولن في العام 1950 طريقة النظر إلى البيئة لتكن واحدة من طرائق "ممارسة تخطيط المدن". – طور كولين نظريته في التصميم الحضري مؤكدًا على أهمية الفضاءات العامة. – قدم كولين كتيب "منظرالبلدة/ المدينة لجوردن كولين" فيه تنمية البيئة من منظور المناظر. – صك كولين مُصطلحات من مثل "فن العلاقة" و"رؤية مُتسلسلة."	– قدم لينش وسيلة لفهم سلوك المستعملين للمدينة والتنبوء به من خلال خمسة عناصر أساسية، وكانت مساهمته في الخريطة العقلية، (1961م). – بعد مرور ما يقرب العشرين عاماً قدم نظريته الجديدة (1984م) في التصميم الحضري: ما الذي يجعل شكل المدينة جيد؟ – صك لينش مُصطلحات من مثل: "القدرة على التصور" ”Image–ability، واستكشاف مسارات الحركة"Way Finding.

2. السياقية: التشكيل الحضري				
1961–1972	1976– 1979	1978	1972–1979	1980
ساهم بعض النقاد في إشهار التصميم الحضري كعلم معرفي يُمكن تدريسه في الجامعات، منهم: أ.) جين جاكوبس وأدبيتها "حياة وموت المدن الأمريكية الكبرى"، 1961م، ب.) آلدو روسي، "عِمارة وعُمران المدن"، 1966، ج.) روبرت فنتوري، "التعلم من لاس فيجاس"، 1972. – الحفاظ على الموجودات ذات القيمة مقابل فكر الإزالة، والاستعانة بها كأساس لعِمارة المدن في سياق المدينة المشيدة.	– التشكيلية مقابل المجالية النمطية، أكتشاف الأراضي الضائعة في نسيج المدينة. توظيف عناصر المدينة القديمة، الشوارع، الساحات، البوابات، العلامات الدالة، المنحدرات، البوابات, – نظرية التراكم	– كولن رو، المدينة الملصقة، فكر ملء نسيج المدينة للحفاظ على ما بقى مما تهدم.	جاءت حقبة السبعينيات لتكن فترة ازدهار الفهم الواعي لمكونات المدينة الحضرية في مستوى العلاقات الشكلية، وكان من رواد تلك الفترة: أ.) جراهام تشين، "نظرية/مذهب السياقية"، 1976 ب.) روبرت كرير، ،القضاء الحضري، 1979، ج.) كولن رو، المدينة الملصقة، 1975، د.) كريستوفر الكسندر مطوعًا لمفاهيم السلوك والعلاقة بين الإنسان والمكان لقراءة المدينة الحضرية وإعادة البناء فيها ليعود مرّة أخرى ليُصيغ مفهومًا جديدًا للتصميم الحضري.	ليزداد تطوره في الثمانينيات بمعرفة: برنت برولين وديفيد كوزلينج الذين صاغا تشكيلات البناء ضمن احترام المفهوم الأصيل للفراغ الحضري. أ.)، برنت برولين، أدبية "عِمارة وعُمران ضمن السياق"، (1980م)، ب.) ديفيد جوزلينج، أدبية "مفاهيم التصميم الحضري"،(1984م)

3. قابلية العيش: مواضع السلوك والمنجال العام؛ مذهب التمدن الجديد وما بعد التمدن			
1993		2004	2009
– اليوم، يهتم التصميم الحضري بموضوعات من مثب: الاستدامة، التوافق البيئي، متضمنة: تقييم الأثر البيئي وتغيير المناخ، جودة الهواء، الطاقة المتجددة، استعمالات الوقود والنقل، الموارد المائية: إدارة المياه والصرف الصحي، المدن قابلة للعيش فيها.	– تأسست الجهة المنظمة للتمدن/التحضر الجديد في 1993م. – حركة دولية: أ.) إصلاح تصميم البيئة المشيدة، ب.) رفع جودة الحياة ومعدلاتها القياسية بخلق أمكنة أفضل للعيش فيها، ج.) إحياء دور الفن الضائع عند صناعة الأمكنة، د.) بناء البيئة في شكل مدن وقرى ووحدات جوار متكاملة، هـ.) إصلاح وملء المدن، وخلق مدن وبلدات متضامة. – للتصميم الجيد تأثير إيجابي ملموس على شعور المرء سواء كان في المكان أو المجتمع المحلي، وهو الأمر الذي يؤدي حتمًا لمجتمع صحي مُستدام.	–التمدن كل يوم هو "نهج للتمدن/التحضر يمكن أن تتبع معانيه في الحياة اليومية." – أكدا كلًا من ليفبفر وكروفورد على أهمية المجال العام باعتباره مكانًا للنشاطات اليومية.	– أطلق ريم كولاس مذهب ما بعد التمدن، 2009م. – صمم عن طريق أفكاره مدينة أطلق عليها "المدينة عام" Generic City في دبي، وهي "مدينة بلا حلم في مدينة الحلم." “A Dreamless City within a Dream City.”

إنما تظل العلاقة بين مواضع تلك المعالم التذكارية ومسارات الحركة والانتقال حميمة، لتقع تلك المعالم في أركان تقاطعات مسارات الحركة أو على امتداداتها لتلتف حولها، أو تأتي من خلفها باقي مواضع النشاطات المُخصصة للسكن. ثم بانت في مرحلة تاريخية لاحقة أهمية المناطق المفتوحة، بعد أن أمكن التعامل معها باعتبار المكون الثاني مواضع النشاطات؛ أيَّ مع الكتلة النقية المُشيدة، لتظهر في الغرب في نمطين إيطاليين شهيرين هما ساحة المنتديات والميدان ، وأصبح لها مُسمياتها المعروفة حَتىَّ الآن (الفورام والبيازا والبلازا والأجورا)..

اتخذت عِمارة وعُمران المدائن الحضرية منحًا آخر على يدي المنظرين خاصة البريطانيين منهم منذ القرن التاسع عشر تحديدًا بعد الثورة الزراعية، ثم بعدها الثورة الصناعية، وفق ما جاءتا به من تمدد حضري للمدائن، مع زيادة عدد السكان، وتمدد المناطق العشوائية غيرَّ الرسمية. فبدأ التغيير مستمدًا من إدخال البعد الاجتماعي في مسألة بناء المدائن الحضرية لمراعاة متطلبات الناس، إنما ما زال التوجه التخطيطي مُحتفظًا بمعالجة العلاقة بين العناصر الأساسية لمكونات المدينة: مواضع النشاطات ومعابر الحركة والاتصال. في بادرة مُختلفة تمامًا، لايُمكن إغفال دور المخطط الحضري كيفن لينش في نظرته للمدينة عبرَّ بُعدًا تصويريًا مناطه الوضوح البصري والإدراك الحسي، ولعله أول من أدخل الزمن باعتباره البعد الرابع في تصميم المدائن الحضرية، وتطورت رؤيته، ونمت متعدية الخريطة الذهنية التي ما زالت شائعة في مدارس تعليم العِمارة والعُمران العربية بشكلها التقليدي [1]. إنما التغيير اللافت نحو عِمارة وعُمران مدائن حضرية تبدو مختلفة، فكان ذلك الحادث في نفس التوقيت، في الفكرين الأوربي والأمريكي معًا، أيَّ في بدايات العقد السادس من القرن العشرين. حَتىَّ تُعد حقبة الستينيات فترة ازدهار الفهم الواعي لمكونات التركيبة الحضرية الجديدة للمدائن؛ ففي نفس الحقبة في أمريكا، جاء ألفن بوياريسكي، وجورج كولنز ، من جامعة كورنل، في العام 1960م [2] [3]، ليتزامن مع ما فات أول إعلان لظهور علم مدرسي أكاديمي جديد اسمه التصميم الحضري، بدايته كانت في جامعة هارفارد في العام 1961م، فبعد سلسلة من المؤتمرات والحلقات الدراسية، أصبحت مقررًا دراسيًا. تبعهما في أوربا الأخوين كراير: روبرت وليون في لوكسمبورج في العام 1960م، ليتعاملا مع مفهوم جديد منبته التشكيل الفراغي للمدائن الحضرية، باعتبار أن الذي يُعطي معنى لعِمارة وعُمران المدائن الحضرية هو التأثير اللافت للعلاقة بين المعالم التذكارية والفراغات/الفضاءات الحضرية المدينية القريبة منها، أو ذات الصلة بها. لتبدأ في الظهور نظريات خاصة بعلم التصميم الحضري مُنطلقة من العناية بالفراغات الحضرية باعتبارها العنصر المُهدَّر مكانته ضمن مكونات التشكيل الفراغي، ليبدأو في الحفاظ على المدينة التقليدية منطلقين من توظيف العناصر التقليدية في السياق الحضري الجديد، من مثل: نظرية السياقية Contextually المبنية على فكر الشكلية/مدرسة علم نفس الشكل Gestalt، نظرية الملء الفراغي الحضري (إملاء حضري) Urban Infill، نظرية الطبقات المضافة Collage، التشبه الجزئي/القياس/التناظر Analogy . [6][5][4] لينتقل التصميم الحضري في السبعينيات ليتخذ بعدًا اهتمامه العلاقة بين الناس والحيز المعاش، ليهتم بالجماعات الإنسانية، ليُصبح المصمم الحضري مِعمار الجماعة، ليُشرك المستعمل في التصميم من خلال رؤية المدينة باعتبارها أحداث مُتصلة ذات علاقة بالسلوك في ضوء فهم ثقافة المجتمعات، لتظهر نظريات مثل: نظرية النسقية/لغة الأنساق Pattern Language، الدلالية/السيميائية Semiology [8][7]. مُتخذًا التصميم الحضري في العهد الجديد بعدا اهتمامه أكبر بالتوافق البيئي، وبان فكر الاستدامة، إنما لم تتعد الانطلاقة الجديدة مرحلة الأفكار مثل: الخضار البيئي، البناء الأخضر المُستدام، عِمارة وعُمران مُستدامة/الوداد البيئي.

2-رواد وتاريخ فكر عِمارة وعُمران المدائن الحضرية

يقدم هذا المبحث أهم رواد مجال الاختصاص وأدبيتهم وثيقة الصلة، انتقالًا لبيان التطور المعرفي عبرّ لمحة تاريخية موجزة.

أ. أهم الرواد وأدبيتهم

يُمكن بداية التعرف على بعض من أهم رواد فن وعلم عِمارة وعُمران المدائن الحضرية في التاريخ الحديث والمُعاصر وأدبيتهم ذات الصلة:

- آلفين بيورسكي Alvin Boyarsky وجورج كولينز George Collins، جامعة كورنل الأمريكية، (1960م)، استكشاف مفهوم السياقية بتحليلهم لمخططات كاميلو سيت Camillo Sitte لمدينة فيينا العام 1889م، بالإضافة إلى تحليل رسومات مخطط مدينة روما لجيمباتستا نولي Giambattista Nolli 1748م ، أما جورج كولينز فهو مؤلف أدبية "كاميلو سيت: مولد تخطيط المدن الحديث"،
- ساهمت في إشهار التصميم الحضري كعلم معرفي يُمكن تدريسه في الجامعات أدبيات لنقاد من مثل: أ.) جين جاكوبس Jane Jacobs، الناقدة لمشكلات المدائن الحضرية الأمريكية الكبرى في أدبيتها المعروفة "حياة وموت المدائن الأمريكية الكبرى" (1961م)، ب.) أدبية روبرت فنتوري «التعلم من لاس فيجاس"، (1972م)، حول ماهية الشكل والمكان في العِمارة والعُمران، حيث يقول روسي أنه: (... بديلاً عن تجاهل واقع البيئة المحيطة علينا أن نتعلم كيفية التكيف معها وتطويرها...).
- قبل أن يهل عام الستينيات كانت ثمة حركة مِعمارية عُمرانية هائلة ترى ضرورة بعث اتجاه يراعي الحياة الاجتماعية لساكني المدينة، دافعين نحو التخلي عن الأسلوب السائد لتقسيم المدينة إلى مجالات ونطاقات مُستقلة ترعاها الشبكات التخطيطية الجامدة والمرنة معًا، الأمر الذي دعى لضرورة التوجه لدراسة مراكز المدن التقليدية التي من المتوقع أنها راعت حياة الإنسان وفق ما أملته ظروف البيئة المُحيطة: الحيز المُعاش. تزامن ذلك مع رغبة العديد من المُختصين الأوربيون في إعادة بناء مدائنهم التي هُدمت بكاملها أو كادت من ناتج الحروب العالمية الفائتة، من

مثل وارسو في بولندا، وهافر في فرنسا، بشكل يلبي مُتطلبات الناس كما كان حادثًا في الماضي القريب.

- تُعد حقبة الستينيات فترة ازدهار الفهم الواعي لمكونات التركيبة الحضرية الجديدة للمدائن الحضرية الحضارية في مستوى العلاقات التشكيلية: أ.) أدبية توماس شوماخر، "السياقية: المثل العليا والتشوهات في المناطق الحضرية"، (1971م) [9][4]، ب.) أدبية الناقد جراهام شين، (1976م) "السياقية"، حيث عنده: (... عملية التصميم يجب أن تنسجم وتتوافق مع مُحيطها العام...)، كما أنه: (... لا تتحضر المدينة بإكمال نمط الشوارع إنما بإضافة أنماط جديدة مُكملة له...) [4]. حسب جراهام تشين "يجب أن يتوافق التصميم الحضري مع، ويستجيب للمناطق المحيطة، وربما يستكمل مخطط نمط الشوارع أو يقدم نمطًا جديدًا، ليعد الجشطالت المزدوج من الشاخص والخلفية يقدم تقديرًا حضريًا نمطيًا حاسمًا لصورة من أرض الواقع."، حيث نبه تشين عن أن التصميم الحضري الذي يضع المخطط في سياقه يعد نهجًا واعيًا منذ منتصف الستينيات بات منتشرًا على جانبي المحيط الأطلسي. كانت بدايات الدعوة للخروج من هذا المأذق التاريخي الاتجاه نحو فكر الحفاظ على البنية الحضرية للنسيج Urban Fabric/Tissue بديلاً عن فكر التجديد الحضري المبني على الإزالة؛ ذلك الفكر الجديد بُني على طرائق التخطيط الحضري البادية بوضوح في بناء المدن التقليدية باحترامها اللافت لمذهب السياقية Contextual-ism.
- تمدَّد التصميم الحضري منذ مستهل ستينيات القرن الفائت ليجمع بين مستويات اختصاص ميدان العِمارة والعُمران Architecture الرابطة بين التخطيط Planning (العلاقات المكانية Zoning) والتصميم Design (العلاقات التشكيلية Formation) لتحقيق جودة وحيوية البيئة الحضرية في المدائن التقليدية بدايةً، انتقالًا للمدائن الحضرية المُستحدثة والجديدة.
- تزامن مع ما فات في سبعينيات القرن أن اتخذ التصميم الحضري بعدًا آخر اهتمامه العلاقة بين الناس والحيز المعاش، ليهتم بالجماعات الإنسانية، ليُصبح المصمم الحضري مِعمار الجماعة، ثم ليُشرك معه المستعمل في التصميم من خلال رؤية المدينة باعتبارها أحداث مُتصلة ذات علاقة بالسلوك في ضوء فهم ثقافة المجتمعات، لتظهر نظريات من مثل: نظرية النسقية/لغة الأنساق، نظرية الدلالية/السيميائية. ليزداد تطور هذا العلم ليُعتمد كطريقة يخلق بها الناس بيئتهم المُشيدة عبرّ فهم طموحاتهم والاستجابة لقيمهم الإنسانية، مطوعين لمفاهيم الإدراك والوعي والعلاقة بين الإنسان والمكان لقراءة المدينة الحضرية وإعادة بناءها فيها، حَتَّى يُمكن تتبع تطوره الفكري بداية من سبعينيات القرن الفائت.
- يأتي كريستوفر الكسندر Christopher Alexander مُطوعًا لمفاهيم السلوك والعلاقة بين الإنسان والمكان لقراءة المدينة الحضرية وإعادة البناء فيها ليعود مرّة أخرى ليُصيغ مفهومًا جديدًا للتصميم الحضري: أ.) كيف يتشارك الناس في البناء مع المُصمم الحضري عبرّ احترام مُتغيرات البيئة وابتكارات التقنية؟ ب.) كيف يُمكن تلبية مُتطلبات الجماعة الإنسانية واحتياجات الطوائف المُختلفة لبناء مدائنهم في ضوء ثقافتهم؟
- ليأتي كولين رو Colin Row العام 1975م ليبتكر نظرية المدينة الملصقة (جامعة كورنل الأمريكية)، باعث فكر المنظور الحضري التشكيلي للمدينة الحضرية (مورفولوجي)- الفكر الازدواجي لعناصر المدينة- العلاقات المتناقضة تعطي معنىً للمكان.
- طبق روبرت كرير Robert Krier في أدبية "الفراغ الحضري"، العام 1979م بمشاركة أخيه ليون Lion Krier مفهوم وضع الأجزاء في سياق- الوظيفة تتبع الشكل- مفهوم إحياء المدينة الحضرية من خلال احترام المعالم التذكارية- المباني لها أهداف دلالية تكتسب معناها من العلاقة الشكلية بين الكتلة والفراغ الحضري، القديم والجديد، العام والخاص- توظيف عناصر المدينة الحضرية التقليدية في سياق التجربة الحضرية الجديدة.
- ليزداد تطوره في الثمانينيات بمعرفة: برنت برولين Brent Brolin، أدبية "عِمارة وعُمران ضمن السياق" العام 1980م، وديفيد كوزلينج David Gosling أدبية "مفاهيم التصميم الحضري" العام 1984م، الذين صاغا تشكيلات البناء ضمن احترام مفهوم الفراغ الحضري.
- اهتم التصميم الحضري في ثمانينيات القرن الفائت بموضوعات الاستدامة والتوافق البيئي: تأثيرات البيئة والتغيرات المناخية، جودة الهواء، استقلالية الطاقة والطاقة المتجددة، ضوابط استخدام النفط وأنظمة النقل العام داخل المدن، وموارد المياه: إدارة المياه والصرف الصحي، ومدن قابلية العيش: "تلبي الاستدامة مُتطلبات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة." [16]، في أدبية كليف موجين Cliff Moughtin "التصميم الحضري: البعد الأخضر، (1996م)، وأدبية "طرائق وآليات التصميم الحضري"، (1999م). مع الأخذ في الاعتبار أن ثمة رواد آخرون لم يأت ذكرهم في الفقرة الفائتة إنما لهم نفس القيمة.

ب- لمحة من أدبيات تاريخ الفكر

أما في أدبيات تاريخ فكر عِمارة وعُمران المدائن فإنه لم يأت ذكر لتتبع نشأة المستقرات البشرية- إنما يُشار دونما التيقن كون ذلك التتبع التاريخي صادقًا، أو حَتىَّ موضوعيًا، بالكلية- إلى أنه [9]:

- (... بانت بدايات عِمارة وعُمران المدن في قارة آسيا، تحديدًا في العام (7500 قبل ميلاد السيد المسيح) في دولة الأردن، حيث ظهرت أولى تلك المدائن ليبان فيها بشكلٍ ملحوظٍ أنها مُتغيرة عن سابقتها من المستقرات البشرية، ثم جاءت بعدها بخمسمائة عام مدينة أخرى في تركيا، فيما بين الأعوام (7000-6000 ق.م.)، ثم ليبدأ أول ظهور للشوارع والممرات باعتبارها العناصر الأساسية لعِمارة وعُمران المدائن في مدينة أور العراقية، وبانت متعامدة

لِتصطف عليها قطع أراضي متساوية الأبعاد لتقام عليها الوحدات السكنية، وكانت المدينة مُقسمة إلى أحياء. مُنذ ذلك التاريخ لم تتبين أيَّ مدائن حضرية إلَّا فيما بين الأعوام (2300– 1750 قبل الميلاد) في قارة آسيا أيضًا في الهند وباكستان، ثم انتقالًا إلى قارة أفريقيا، تحديدًا في مصر، بانت مدينة كاهون فيما بين (1897 ق.م.– 78 م)، ومدينة أخيتاتون فيما بين (1379 ق. م.– 62 م.)، وبان فيها التخطيط الشبكي المنتظم بوضوح. ليتبين التخطيط الشبكي بمعناه الدقيق في مدينتي هيبوداموس وميليتوس الأغريقيتين في عهد أرسطوطاليس، ليروح في كافة أنحاء العالم، ليُصبح هو المدخل الحقيقي لِعمارة وعُمران المدائن الحضرية...).

- فواقع الحال يُشير إلى أنه لم يكن يشغل البال أبدًا في هذه الأزمنة الضاربة في عمق التاريخ الفروق الجوهرية بين المقاييس (حجوم ومساحات) تلك المستقرات البشرية ومستويات الممارسة التخطيط والتصميم ولا العلوم المُعاصرة التخطيط أو التصميم الحضري، إنما كان يُنظر إلى التجمع البشري باعتباره تجمعًا مدنيًا متكاملًا يجتمع فيه مجموعة من الناس، فكان ذلك هو العُمران البشري، تجمع بشري مديني [10]. فبدا أن البَنّاء القديم يُخطط أمكنة الاستعمالات ويوزعها في علاقتها مع المحيط الحيوي المباشر، وما يتصل بها، وما يصل بينها من معابر للحركة والاتصال، ثم ما يلبث أن يرتفع بالكتل الحضرية دونما أيَّ أفكار عن أن مرحلة التوزيع ذات علاقة بعلم التخطيط، أو أن تصميم الكتلة النقية في البعد الثالث، وعلاقتها ببعضها البعض وبالفراغات الحضرية من حولها مسألة تخُص التصميم، حَتىَّ أن بناء المدينة بكاملها كان حاصل دونما ذكر لتفسيرات عن التشكيل الفراغي، أو الصورة البصرية أو حَتىَّ الطابع المِعماري والعُمراني الحضري.
- بتتبع تاريخ الفكر ثانية وجد أن [11]: (... أول رصد للعلاقة بين قطع الأراضي المخصصة للسكن والمعالم التذكارية ممثلة في القصور والمعابد كانت في خورس أباد (70 م.) ثم بابليون (502– 605 م.) في العراق. لتتبين في روما المدينة الأوربية الإيطالية بدايات العلاقات التشكيلية بين لمعالم التذكارية والساحات الخارجية التي تحدث فيها المُنتديات (الفورام)، وظهرت حولها أيضًا مباني منخفضة ومرتفعة بتنويعاتها بين المعابد والحمامات العامة والمسارح، لتتوزع عليها قطع الأراضي المخصصة للسكن والتجارة مثلما حدث في مدينة تيمجاد بالعراق، مع الاستمرار في وجود شوارع ضيقة. كما أمكن رصد تلك العلاقة بين المعالم التذكارية باعتبارها نقطة انطلاقة التشكيل في المدينة العربية الإسلامية في مخطط بناه (الخليفة المنصور) في (بغداد في العراق)، فكان دائريًا، مركزيًا، يدور حول نقطة فيها قصر الحاكم، حولها منتزه ضخم، ثم باقي أحياء المدينة. أما أول إدراك للميادين العامة (البيازا) فكان في مدينة بينزا الإيطالية لعام 1460م.، بمعرفة (روسيلينو)، ليمتد الارتكاز على أفكار المنتدى المفتوح والميدان (الفورام والبايزا) لتكون الأساس في صياغة النسيج الحضري في المدائن الحضرية الإيطالية حَتىَّ نهاية القرن السادس عشر الميلادي، بعد إحاطة المباني في وجود العلاقة الوثيقة بينها وبين الشوارع ومسارات الحركة المحيطة والمتجهة إليها. في القرن التاسع عشر إبان الثورة الزراعية، ثم الثورة الصناعية، وتزايد عدد السكان، والتزاحم، وعشوائية البناء ظهر منظري (بريطانيا) المختصين في مجالات إنشاء المدن بطرح أفكارٍ جديدةٍ تتلاءم والأوضاع المدينية الجديدة فكانت أفكار روبرت أوين (1858– 1771م).
- ثم ما لبث الغرب المتقدم في البحث عن علوم معرفية تُمكنه من إنشاء المدائن الحضرية بعد التزايد العددي لمستعمليها، والتوافق مع تمدداتها الحضرية لتستوعب نشاطات جديدة لم يكن لها سوابق تاريخية من قبل، فجاءت أفكار؛ من أهمها: أ.) تنوع النشاطات لتتلاءم مع تغير الوظائف، ب.) التطور في وسائل الحركة والانتقال، فكان أن ظهر علم التخطيط ليُنظم تلك العلاقة على مستوى البعدين الأفقيين، مع الاستمرار في تطور اختصاص عِمارة وُعمران الكتلة النقية المهتمة بالمنشآت المفردة مهما كبر حجمها. مرَّ الوقت ليتمدد علم التخطيط فيكون له فروع مُستقلة تتلاءم والتوسع المديني الرحب، ليهتم في مستواه الكبير بالجوانب الإقليمية، ليعقبه في المستوى الأصغر تخطيط المدن والبلدات الحضرية أو المعروف شيوعًا بالتخطيط الحضري، وهو أقرب ما يكون لما هو حادث لوقت قريب عند بناء المدن الحضرية الجديدة، مع وجود علوم مُنبثقة لتتلاءم مع المقياس الصغير: تخطيط وتصميم المواقع، والبيئة الخارجية: عِمارة وعُمران البيئة الخارجية اللاندسكيب.
- بان التصميم الحضري كعلم وفن معرفي جديد واقع ضمن ميدان اختصاص العِمارة والعُمران في مُستهل الستينيات ليتحول إلى مجال احتراف مهني، مُرتبط بالفنون العلمية ذات المستويات النظرية والتطبيقية، المعنية بتهيئة المدائن والبلدات الحضرية في مقاييس متوسطة وكبيرة الحجم. جاء ليمثل امتدادًا طبيعيًا– إنما معاصرًا– لمجال اختصاص التخطيط الحضري، الذي حصر محال اهتمامه في التعامل مع المدائن الحضرية باعتبارها المجالي/التنطقي على مستوى البعدين الأفقيين الأرضيين، مع اعتبار أن الكتلة النقية بصرحيتها الضخمة هي الأساس في تركيب هياكل المدائن الحضرية، مُتجاهلًا العلاقة بين تلك الصروح الضخمة وفضاءاتها الفراغية المحيطة. فبان ذلك عند المعمارين الذين قدموا مُخططاتهم للمدن الحضرية من مثل لوكوربوزييه في المدينة المعاصرة، ودوكسيادس في مدينة شانديجار. ليجيئ كيفن لينش وهو مخطط مديني حضري في العام 1961م؛ ليهتم بداية بمسارات الحركة والاتصال، طارحًا لمفهوم الاستقراء، مُبتدعًا لفكر المخطط البصري للمدينة، ليقدم صورة بصرية للمدينة في بعدها الثالث مُعتمَدًا على خمسة عناصر رئيسة للقراءة منها الأنوية والعقد ممثلة للفراغات

الحضارية والمناطق المفتوحة في المدن الحضرية [1]. ليعد لينش أول من أضاف بعد الزمن باعتباره البعد الرابع في تصميم المدينة الحضرية، وبانت عنده مصطلحات من مثل: الصورة البصرية عبرّ تجربة مشاهدة ارتكازها على العلاقة بين مسافة سير المشاهد وزمن الحركة الذي يقطعه، ليتنامى بعدها دور الفراغات الحضرية وأراضي المدينة المهملة في تكوين صورة مرئية ووظيفية للمدينة.

- لتجيء الدَفعة نحو نشأة العلم الجديد حسب اعتراضات جين جاكوب في أدبيتها «حياة وموت المدن الأمريكية الكبرى» المنشورة في العام 1961م، وبان نقدها الصريح لعدم بما كان معروفًا بوحدة الجوار، وفشل التخطيط الحضري في تفهم فكر السياق الحضري، وقلة الاهتمام بالفراغات الحضرية، والتعامل معها باعتبارها مساحات مهملة. [12]
- ليتزامن مع ما فات أول إعلان لظهور علم مدرسي اسمه التصميم الحضري، بدايته في جامعة هارفارد في العام 1961م فبعد سلسلة من المؤتمرات والحلقات الدراسية، أصبحت مقررًا دراسيًا. فجاءت البدايات المبكرة للانفصال بين التخطيط في بعديه الأفقيين (الاستعمالات والتوزيعات)، والتصميم مراعيًا للبعد الثالث (الشكل والتشكيل)، إنما لم تكن تبدو أبدًا أنها محاولات انفصالية بقدر ما كانت محاولات لقراءة المدينة من خلال كامل مكوناتها (مواضع النشاطات: الكتلة والفراغات الحضرية ومعابر الحركة والاتصال: الطرق ومسارات حركة المشاة)؛ فبانت في أوربا عند الأخوين كرير منذ العام 1966م، ليتبين الانتقال من النظر للمدائن والبلدات الحضرية في مستواها التنطقي/المجالي في بعديه الأفقيين في اختصاص التخطيط الحضري، لينظروا إليها باعتبارها التشكيلي/الشكلي، بإضافتهم للبعد الثالث (الارتفاع) في عملية البناء[17]. وعليه فلا معنى على الإطلاق أن يكون التصميم الحضري حلقة الوصل بين (التخطيط الحضري والتصميم المعماري)، فهي مقولة شائعة خطأ؛ فاختصاصيوا التخطيط الحضري اهتموا بتصاميم المدينة الحضرية في أبعادها الثلاثة إنما لم يبينوا الدور الفاعل للعلاقة بين الكتل البنائية والفراغات الحضرية في مستوى، والفراغات الحضرية بينها وبعضها في مستوى آخر، إلَّا من خلال علوم التنطقية المجالية المهتمة بالنوعية[Typology]، في حين تناولها مصممو المدينة الحضرية بعد الاهتمام ببعدها الضائع بداية (أيّ الفراغات الحضرية والمناطق المفتوحة). فنظروا في العلاقة بين الكتلة النقية والفراغ الحضري، والفراغ الحضري والفراغ الحضري، ودورها في النسيج الحضري، عبرَّ دراسة مُتفحصة لتشكلية تشريح النسيج الحضري[Morphology]، وليس فقط من خلال التصنيف النوعي للوظائف والأنشطة.
- أما الجدير بالمراجعة هنا فالترجمة العربية لمُصطلح [Architecture] باللغة العربية ليُحصر فقط في العِمارة، في حين تعدى ذلك إلى العُمران، ليُصبح في العصر الحديث مُصطلحًا مُركبًا من عنصرين "العِمارة والعُمران"، أيّ "الحجر والبشر". في حين أنه لا يصح أيضًا عند التعامل مع العِمارة والعُمران على المستوى الاحترافي القول: العِمارة والتخطيط، مُفترضين أن العِمارة هنا من نفس جنس التخطيط، في حين أن العِمارة والعُمران كيان فوقي يحتاج لهما معًا: التصميم والتخطيط كأدوات للعناية، باعتبارهما من جنس واحد: ليعني التخطيط بالخطط والأهداف، شأنه في ذلك شأن استعمالاته في كافة مجالات المعرفة، في حين يهتم التصميم بالشكل والتشكيل أيضًا شأنه شأن تصميم "الأزياء والأثاث وأجهزة الهاتف والحاسوب. فكُلّ ما في فنون الحياة وعلومها ذو أبعاد تشكيلية تطلب مُشاركة العنصرين معًا؛ ليُصبح التصميم في ميدان العِمارة والعُمران، معني ليس فقط بعِمارة وعُمران الكتلة النقية، إنما بأي تصميم تشكيلي له أبعاد تظهر في الفراغ، من مثل: التصميم البيئي، تصميم المواقع. ليتعدى التصميم الحضري مجرد صياغة الهيكل البنائي الحضري باعتباره الشجري، أو التدرجي من الأكبر إلى الأصغر على مستوى التدرج الهرمي للهيكل البنائية، أو معابر الحركة والاتصال، أو الفراغات الحضرية. كما تعدى التعامل مع التشكيل الفراغي باعتباره يعالج العلاقة بين الكتل النقية والفراغات الحضرية لدعم متطلبات المستعملين في ضوء معايير التخطيط والتصميم شائعة التداول: الكثافة السكانية والبنائية، كفاءة استعمالات الأراضي، الاتصالية، المناظر واتجاهات الرؤية، الخصوصية البصرية والسمعية، ليتجاوز ذلك كله لينظُر إلى لتشكيل الفراغي للعلاقة بين الكتل النقية والفراغات الحضارية في ضوء فهم سلوك الجماعات الإنسانية (المكونة للمجتمع) وصولًا لجودة البيئة الحضرية وتحقيق الحيوية ودعم الطابع المِعماري والعُمراني في ضوء العلاقة بين الثقافة والعُمران.
- ليُصبح المصمم الحضري مِعمار الجماعة، في حين المخطط الحضري مِعمار المجتمعات، ليكون مصمم عِمارة وعُمران الكتلة المفردة مِعمار أفراد متأثرين بثقافة الجماعة والمجتمعات، إنما في ضوء طبيعة ونوعية مشروعات عِمارة وعُمران الكتلة، مع اعتبار أن ثمة علوم مهمة يُمكن إدراجها لتكون حلقة الوصل بين التخطيط والتصميم الحضري، هي: الإسكان وتصميم وتخطيط المواقع، على وجه الخصوص حينما يكون مستوى ومجال العمل المشروعات السكنية المُرَكّبة.
- لذا لا يعد التصميم الحضري حلقة وصل أبدًا، إنما هو مرحلة في بناء عِمارة وعُمران المدائن، تتعدى البعدين الأفقيين والارتفاع، لترى المدينة في أبعادٍ مُتعددة، في ضوء معرفة ثقافة المستعملين، ورصد سلوكياتهم؛ عليه فمن اللائق أن يُطلق على هذا الفن العلمي لتهيئة المدائن بالاستحداث والتشكيل وإعادة البناء/التأهيل بأنه: "عِمارة وعُمران المدائن الحضرية".

3- التصـــميم الحضـــري عمـــارة وعمـــران المـــدن الحضـــرية: تعريف ومفهوم وموضع البناء

(... تتعدد تعاريف التصميم الحضري، إنما تخلص كلها إلى نتيجة وحيدة «تعريف قصير، واضح... بسيط هو في الحقيقية غيّر ممكن» ...). (روولي، 1994، 195). [13]

تعاريف ومفاهيم التصميم الحضري التالية مأخوذة عن أدبيات منشورة، إنما لا تعبر بالضرورة عن رأي المؤلفين، والفقرات التالية تناقش ثلاثة من شخصيات/ممثلي التصميم الحضري وهم:

أ- تعريفات التصميم الحضري

ناقشت الأدبيات المشورة تعريفات التصميم الحضري من العام (1984م) لحَتّى الآن والجدول رقم3.

جدول (3): تعريفات التصميم الحضري وتواريخ ظهورها في الأدبيات المنشورة، المصدر: الباحثة.

العام الميلادي	التعريف
1981	خلق إمكانيات الاستعمل والإدارة وشكل المستقرات أو أجزاء فيها بعينها.» [1] [14] [P. 19]
1984	شكل البيئة المُشيدة المتاح.» [14] [15]
1988	العلاقة بين العِمارة وتخطيط المدن والمهن ذات الصلة»؛ «تصميم ثلاثي الأبعاد للناس... ورعايتهم وإدارتهم في المُستقبل.»؛ «الجسر الحيوي الذي يحول المخطط ثنائي الأبعاد وموجزات التخطيط المجرد إلى واقع حقيقي، ذلك كله قبل عمل التفاصيل المعمارية والهندسية.»؛ «تصميم المساحة المبنية على الصعيد المحلي بما في ذلك مجموعة المباني المخصصة للاستعمال المختلف، أنظمة الحركة والخدمات المرتبطة بها، والفضاءات ومناظر الأرض التي تتخللها"؛ "النشاط الإبداعي الحاصل بواسطة شكل وشخصية البيئة المشيدة على الصعيد المحلي.» [16]
	التصميم المادي الملموس للمجال العام.[16]
1991	إدارة تغيرات البيئة المُشيدة والطبيعية. [17]
1992	يمكن حصر تعريف التصميم الحضري المحدود على أنه تصميم الفضاءات أو، أكثر حصريًا، هو تصميم كامل البيئة الحضرية: الأبنية وأيضًا الفضاءات، التنمية الخاصة وأيضًا العامة.» [17] ص:1
	اتباع نهج مُتعدد الاختصاصات لتصميم بيئتنا المبنية. [18][P. 331]
1994	بزغ التصميم الحضري كاختصاص مهني، لِتظهر قدرته في المقام الأول على تناول العلاقات بين الشكل المادي الملموس ووظيفة المواقع المجاورة، فذلك على عكس المهندس المعماري المقيد دائمًا بحدود الموقع ونوايا العميل والمخطط الذي يظل مترددا في تناوله لقضايا ذات صلة بجدول أعمال التصميم المادي.» [19][P. 34]
1995	التصميم الحضري «بين المباني والشوارع والميادين والمنتزهات والفضاءات المفتوحة الأخرى التي تشكل المشاع العام؛ العلاقة بين جزء واحد من القرية والبلدة والمدينة بأي جزء آخر؛ والتفاعل بين بيئتنا المتغيرة المباني والقيم، التوقعات والناس: باختصار، العلاقة المركبة بين العناصر المختلفة من الفضاءات المبنية وغيرّ المبنية وأولئك المسؤوولين عنها. [20][P. 2]
1997	التصميم الحضري «نشاط متعدد الاختصاصات بداية من تشكيل البيئة الحضرية لحتى إدارتها، اهتمامه في الحالتين عملية التشكيل والفضاءات التي تساعد على التشكيل. يجمع بين الاهتمامات الفنية والاجتماعية والتعبيرية، حيث يستخدم مصممي الحضر الوسائل البصرية واللفظية للتواصل والمشاركة في كافة مقاييس التواصل الاجتماعي- المكاني في المناطق الحضرية.
	«ينبغي أن يؤخذ التصميم الحضري على أنه يعني العلاقة بين أبنية مُختلفة؛ العلاقة بين الأبنية والشوارع، المنتزهات والممرات المائية وأية فضاءات أخرى صانعة للمجال العام على المشاع.. وأنساق الحركة والنشاطات التي تأسست؛ باختصار، العلاقة المركبة بين العناصر المبنية والفضاءات غيرّ المبنية. [21]
1999	التصميم الحضري هو «فن تشكيل العلاقة المتبادلة بين الشعب والأمكنة، البيئة والشكل الحضري، الطبيعة والنسيج الحضري، وتأثير العمليات التي تقود لقرى وبلدات ومدن ناجحة. [15]
2000	«يجمع التصميم الحضري بين العديد من الخيوط لصنع مكان؛ من مثل: المسؤولية البيئية، العدالة المجتمعية والجدوى الاقتصادية- نحو خلق أمكنة جميلة ذات هوية. يتجاوز التصميم الحضري فيما فات مسائل من مثل: سياسة التخطيط والنقل، التصميم المِعماري العُمراني، اقتصاديات التنمية، مناظر الأرض والهندسة ليجمع هذه الفروع وغيرها معًا. خلاصة القول، يخلق التصميم الحضري رؤية حول منطقة محددة ثم يعزز المهارات والموارد اللازمة لتحقيق هذه الرؤية. [22][P.12]

ب- مفاهيم التصميم الحضري [23]

ارتكزت مفاهيم التصميم الحضري Urban Design Concepts علي:

- حلقة الوصل بين تصاميم عِمارة وعُمران الكتلة النقية وتخطيط استعمالات وتوزيعات الأراضي على مستوى العلاقات المكانية في البعدين الأفقيين بعد إدخال الفراغات الحضرية الموجبة و/أو

الفضاءات الحضرية السالبة في الاعتبار على المستوى التشكيلي (البعد الثالث) وبعد أخذ عامل زمن البناء وتجربة الحركة في الاعتبار لتحقيق معنى للمكان.

- فن وعلم بناء المدن.
- علم تنظيم العلاقة بين الكتلة النقية والفراغ الحضري، والفراغات الحضرية وبعضها، في ضوء احترام السلوك الإنساني للجماعة، سواءً في المناطق القائمة أو في مناطق الجديدة لتنميتها.

شكل (1): العلاقة بين التصميم والتخطيط وموقع التصميم الحضري كحلقة وصل، (المصدر: الباحثة).

عملية التصميم الحضري طورت العلاقة بين **الناس والبناء** من خلال مفاهيم المشاركة المجتمعية/السلوك الإنساني تركيزًا على أحداث ونشاطات الناس، فكان تعريفه من من هذا المنظور أنه:

- عملية اهتمامها إدراك وفهم والوعي بالعلاقة التبادلية بين: الإنسان والحيز المعاش، من أجل بناء مدن حضرية تلبي غايات الأمان والسعادة.
- الطريقة التي يمكن أن يبني بها الناس بيئاتهم لتحقيق قيم الانتماء العاطفي والنفسي ورفاهية الأجيال القادمة.
- فن علمي اهتمامه تحقيق موضع حقيقي، كاملًا في تفاصيله وجزيئاته وفي بنيته الكلية، بحيث تنتج بيئة مصنوعة من مجموع البنيات التي يحمل كُلّ منها جذور لغة مشتركة، وبالتالي يحمل ناتج التصميم- وبنفس القدر من المشاركة- لغة للتفاهم بين المصمم والمستعمل. إنما كُلّ ذلك يأتي بعد نمو المنطقة الحضرية طبيعيًا، أيّ في ضوء العلاقة بين النشاطات التي يمارسها الإنسان في حياته العادية وانعكاساتها على البناء.

ج- التصميم الحضري وموضع البناء

يرى المصمم الحضري موضع البناء (تصميم المكان) باعتباره بناء يعبر أصدق تعبير عن أحداث ونشاطات متطلبات الجماعات المحلية،ب.) أحداث ونشاطات البشر وسلوكياتهم، حيث تنشأ البيئة المُشيدة (الحيز الحضري المعاش) عبرّ علاقة تبادلية بين: أ.) أصحاب الحقوق، ب.) المجتمع المحلي، ج.) المكان، (الشكل8)، فتتبين في بناء موضوعي يُمكن توصيفه.

فتوصيف ماثيو كارونا [24] لموضع البناء يأتي علي أنه فراغ حضري نصف خاص أو ساحة نصف عامة تطل عليها مجموعات من الكتل البنائية مخصصة للسكن في الأدوار العليا والمطاعم في الأدوار السفلية، بطبيعة الحال تتعدد النشاطات التي يُمكن ممارستها في مثل تلك الفراغات الحضرية إنما الحدث الذي تم في هذا الفراغ الحضري تحديدًا اختص بممارسة نشاط محدد هو: خروج نشاط تناول الطعام إلى فراغ الساحة الحضري وتخصيص مكان خارجي لممارسة نشاط الجلوس والترويح المبني على العلاقات المجتمعية في الأمكنة الخارجية، إنما ليس بالضرورة أن يتكرر ذلك الحدث كلما تكرر النشاط والمكان. إنما إذا تكررت تلك العلاقة تصبح نسقًا بنائيًا، يُمكن من خلاله الحكم على سلوك المستعملين وتوجهاتهم.

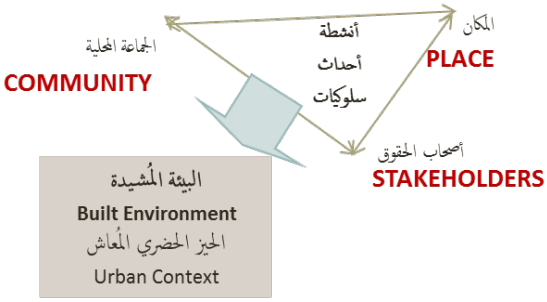

شكل (2): المكونات الأساسية لموضع البناء، (المصدر: الباحثة).

4- عِمارة وعُمران المدائن الحضرية في العصر الحديث

يعد التصميم الحضري في العصر الحديث فن وعلم منظومي/عملياتي هدفه حل المشكلات المِعمارية والعُمرانية المعقدة والمتعددة، ليأتي لينظم ويرتب مواضع الأنشطة المِعمارية والعُمرانية من منظور وظائفها، ومظهرها الخارجي، مع إعطاء عناية خاصة للعلاقة التبادلية التشكيلية على مستوى الكتلة النقية والفراغات/الفضاءات الحضرية، إنما مَعنيًا بحركة النقل والمواصلات، والاتصالات داخل المدينة الحضرية، وفي علاقتها بالمحيط الخارجي، مُركزًا بدقة على النواحي المجتمعية- الثقافية، والسياسية، والاقتصادية، والقانونية- التشريعية، ومتعديها لينظر للمدينة باعتبارها السلوكي والوعي البشري.

له ارتباط وثيق بكافة مجالات ميدان اختصاص العِمارة والعُمران، بداية من عِمارة وعُمران الكتلة النقية، مرورًا بمجال اختصاص التخطيط بتفريعاته: تخطيط المدائن والبلدات الحضرية، التخطيط الحضري، تخطيط المواقع، مع إعطاء عناية خاصة لمرحلة انتقاله من مستويات التخطيط ذات البعدين الأفقيين إلى مستوى التشكيلية ثلاثية الأبعاد، ليتحول الاختصاص في الحال ما دام الكلام عن التصميم إلى التشكيل الفراغي، وصولًا لإدخال الزمن كبعد رابع في تصميم المدائن والبلدات الحضرية. ليتناول الترتيب والتنظيم الفراغي من منطلق فهم نمط النسيج ومكوناته المصمت والمفتوح، ومسارات الحركة المُخصصة للمساة، تنوع النشاطات على مستوى الدور الأرض، ثم التكوين الفراغي في البعد الثالث للعلاقة بين الكتل النقية والفراغات الحضرية في التناسب والمقياس، الألوان والفتحات والملمس، حد البناء، البروز والارتداد، خط

السماء والأرض، تنوع النشاطات على مستوى عِمارة وعُمران الكتلة المفردة وواجهات الكتل المُتصلة، انتقالًا لمرحلة الوعي الفراغي التي تتعامل مع الأحاسيس، بدءًا من صورة المدينة والوضوح البصري، للمناطق المشوشة في الداخل، فتجربة المشاهدة عبرَ مُتتابعة فراغية حركية وعيية ترى المدينة باعتبارها سلسلة من تجاربٍ سلوكيةٍ وعيية، مكونة لنصٍ مجتمعيٍ صاغته الأحداث والنشاطات، وصوبته سلوكيات الناس وردود الأفعال التي صارت من خصائص وسمات المكان.

ليعد عِمارة وعُمران المدائن الحضرية اليوم فن وعلم لتصميم وتخطيط المدائن والبلدات الحضرية في ضوء الفهم العميق لمفهوم التشكيل الفراغي الحضري بأركانه الثلاثة: الترتيب والتنظيم الفراغي على مستوى البعدين الأفقيين، والتكوين الفراغي بإدخال الارتفاع باعتباره البعد الثالث، والإدراك والوعي الفراغي بعد إدخال زمن الحركة في الاعتبار. وعليه فالتصميم الحضري يتعدى النوعية المجالية/التطبيقية ذات البعدين إلى مرحلة التشكيلية التشريحية للهيكل الحضري في أبعادها الثلاثة، واضعًا في اعتباره تصويب تفعيل دور الفراغات الحضرية السالبة (الأراضي الفضاء الميتة) بنفس الدرجة من الأهمية التي تلقاها الكتل النقية للمباني الصرحية والسكنية والخدمية، بل يتعدى المجالية والتشكيلية ليهتم بمرحلة الدلالية من خلال تجربة إنسانية مُتغيرة للوعي بالمكان بعد إدراكه عبرَ رحلة ذات مضمون نصي وبعد درامي، مُعبرًا عنها من خلال العلاقة بين الكتلة النقية والفراغات الحضرية، والفراغات الحضرية والفراغات الحضرية في علاقة تراتبية مُتدرجة، مكونة معنىً للمكان. كما أنه يُضيف إلى اهتمامات التخطيط الحضري مساحة لصياغة الخطوط الإرشادية المُنظمة للعِمارة والعُمران، أيّ أن اهتمامه الأصيل معني بصياغة أسس التحكم في الحضرية، بقصد الوصول إلى طابع حضري مِعماري عُمراني، يتسم بالتفرد/التمايز، كما يهب عناية خاصة لأساسيات الوضوح البصري استنادًا على القدرات الإنسانية، محكومًا بعوامل وأسس ومحددات: الإدراك، والسلوك الإنساني، والوعي البشري، مُفعلًا لجوانب المشاركة الجماهيرية والفردية في عملية التهيئة (الاستحداث والتشكيل وإعادة التأهيل)، ومن هنا فهو علم مجالات اهتمامه تغطي محورين هما: إعادة بناء/تأهيل المدائن الحضرية ذات القيمة، واستحداث وتشكيل المدائن الحضرية الجديدة، وله مستويين: متوسط الحجم والمقياس بداية من مراكز المدن الحضرية حَتىَّ المقياس الكبير المعني بكامل المدائن والبلدات الحضرية.

لتكن أهم موضوعاته: أ.) التشكيل الفراغي الحضري Urban Formation/ Form Generation، ب.) الفراغ الحضري Urban Space، ت.) النسيج الحضري Urban Pattern، ث.) الشبكة التخطيطية Planning Grid، ج.) المنطق الاجتماعي للفراغات الحضرية Space Syntax، ح.) الحيوية/الجودة الحضرية Urban Quality/Vitality ، خ.) السلوك الاجتماعي المضاد Anti-Social Behavior، د.) تاريخ ونظريات History and Theory ، ذ.) المجالية التطبقية تايبولوجي مقابل التشكيلية مورفولوجي Typology vs. Morphology، ر.) عِمارة وعُمران ضمن السياق/السياقية Contextually، ز.) الإملاء الحضري: Urban Infill نظرية المدينة الملصقة/ذات الطبقات المضافة Collage City، س.) نظرية لغة الإنساق/النسقية: المدخل السلوكي المركب Pattern Language، ش.) نظرية الدلالية: دراما النص سيميولوجي Semiology، ص.) طرائق وتقنيات التصميم الحضري Urban Design Methods and Techniques، ض.) أسس ومباديء التصميم الحضري Urban Design Principles، ط.) الإدراك الحسي الحضري Urban Perception، ظ.) صورة المدينة/ Image of the City المظهر العام General Appearance، ع.) استجابة البيئات الحضرية Responsive Urban Environments، غ.) التاريخية Historicism، الاستدامة Sustainability، القابلية للعيش Livability، ف.) القيم الثقافية– الإنسانية Urban-Cultural Values، ق.) التحكم في الحضرية Urban Control، ك.) الخطوط الاسترشادية/أنظمة التحكم في الحضرية Urban Guidelines ، ل.) الطابع الحضري Urban Character، م.) جماليات عِمارة وعُمران الحضر Urban Architecture Aesthetics، ن.) الحفاظ الحضر Conservation، هـ.) إعادة البناء/التأهيل الحضري Urban Rebuilt/Rehabilitation، و.) آليات إعادة التأهيل Rehabilitation Techniques، لا.) إدارة المدن الحضرية Cities Management، ي.) عِمارة وعُمران آديم الشوارع Streetscape، وأخيرًا مقابلة مع عِمارة وعُمران مُستدامة أو خضراء Architecture Sustainable أو صديقة البيئة Eco- Friendly.

5- نظريات وطرائق واتجاهات التصميم الحضري

لاح في أفق منتصف القرن الفائت أن ثمة رياح قادمة للتغيير على مستوى مكونات عِمارة وعُمارة المدن الحضرية (دون ذكر صريح لمجال التصميم الحضري بعد). ثم لاحت أفكار بدت مُختلفة في ذلك الوقت، فكانت حول ضبط العلاقة بين الإنسان وموضع البناء على مستوى المجتمعات محدودة الحجم والمقياس– لتتجاوز الحسية (الإدراك المرئي) إلى الفكرية (الوعي بمعطيات الموضع)، منها إثنتين: تلعب واحدة على مبادئ "ازدواجية التركيب": أيَّ تقنية الحداثة ورمزية الماضي (الحداثة المتأخرة)، و الأخرى "جدلية العلاقة السرمدية/الأزلية": المغلق والمفتوح، البناء والفضاء الحضري، حيث بانت في كلتاهما تصاميم "عِمارة وعُمران المدائن الحضرية" وكأنها تشكيلًا فراغيًا ذا علاقة بين: "الكتلة النقية والفراغات الحضرية"، حَتىَّ أخذت تلك العلاقة أبعادًا فكرية فلسفية، مع ثبات موضوعها الفكري (وعُمران المدائن).

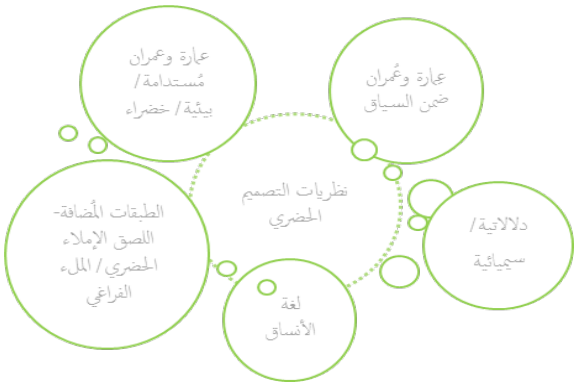

شكل (3): نظريات التصميم الحضري، (المصدر: الباحثة).

أما من أكثر نظريات وطرائق واتجاهات هذا الفن العلمي شيوعًا فهي: عِمارة وعُمران ضمن السياق Contextually، عِمارة وعُمران نظرية الطبقات المُضافة– اللصق Collage الإملاء الحضري– الملء الفراغي، عِمارة وعُمران نصية: دلالاتية/سيميائية Semiology، عمارة وعمران نسقية فرض النسقية–نظرية لغة الأنساق.

أ– عِمارة وعُمران ضمن السياق Contextually [9] [4] [25] [26]

بانت فيما بين ستينيات وسبعينيات القرن الفائت كحركة مُضادة للتجديد الحضري، عرِفَت من خلال مُصطلحات من مثل: الحفاظ الحضري والطبيعي، إعادة الاستعمال/التوظيف، ملء الفراغات/الفضاءات الحضرية، إذ فلم تعد أفكار "الإزالة الكاملة." التي كانت في بدايات حُقبة الحداثة (أي بعد الحرب العالمية الثانية تحديدًا) محل ترحيب، بل أن الحفاظ على الموجودات ذات القيمة، والانطلاق بها ومعها في سياق المدينة بات أساس التعامل مع عِمارة وعُمران المدائن الحضرية. لتظهر طريقة عِمارة وُعمران ضمن السياق في ستينيات القرن الفائت، باعتبار المدينة كُلّ متكامل، تجربتها الإنسانية المُتكاملة أرقى من أجزائها المفردة حَتىَّ لو كانت مُجمعة، لتعرف بأنها: أ.) طريقة للتصميم وإعادة البناء/التأهيل الحضري، ترى أن ما يفرضه التصميم من واقع جديد جزء لا يتجزأ من المحيط الحيوي للموضع، ما بين أفكارها ومعتقداتها (أيَّ أدلوجتها) يعد واقعة ثقافية مُجتمعية، مع احترام التدافع الاقتصادي والمواءمة المناخية، إذ فيلزم لتفعيلها خلفية معرفية ثقافية–عقائدية مستمدة من خصائص بيئة الموضع ومحتواه."، ب.) "حركة مِعمارية عُمرانية مبنية على فكر (فلسفة) انسجام فعل التصميم مع المحتوى الحيوي الحضري عبرَّ العلاقة بين الكتلة النقية والفراغ الحضري والفراغات الحضرية وبعضها، وأهمية الدور الحضري للمكان بعناصره."، ج.) "طريقة للتصميم يمكن بناء الفكر فيها على النمطية أو التقليدية، أو التضاد بين مُعطيات الموضع، كما ترتكز أحيانًا عند رصدها للعلاقة بين الكتلة النقية والفراغ الحضري على فكر التجديد المبني على ما عُرف في بداية القرن بنظرية الجشتالت Gestalt، بمعنى احترام النسيج بفراغاته/فضاءته الحضرية في علاقته مع الكتلة النقية، لتنتقل لتوحي بسيادة فكر التشَّكُلية (التشريحية/المقطعية) Morphology بكتليته النقية بديلًا عن المجالية/المناطقية/التنطقية Typology. طريقة لها عدة خصائص: أ.) المباني لها أهداف دلالية تكتسب معناها من جدلية العلاقة بين الكتلة والفضاء، ب.) تشكلية النسيج (التشريحية/المقطعية) بكتليته النقية مقابل الجمالية بتقسيمتها التنظيمية، ج.) المنظور الحضاري ناتج عناصر الموضع، د.) الوظيفة تتبع الشكل.

ب– عِمارة وعُمران نظرية الطبقات المُضافة–اللصق Collage **الإملاء الحضري/الملء الفراغي** [6] [25]

جاء كولن رو في 1975م بفكر المدينة المُلصقة ضمن مجال الملء الحضري لنسيج المدينة، الداعي إلى: "الإبقاء على النسيج الحضري القائم، ثم إضافة طبقات جديدة إليه، بقصد ملء الفراغات الحضرية."، طريقة تتبنى الفكر المشير إلى أن: "تناغم العلاقة بين الكتلة النقية والفراغ الحضري يحقق معنى لعِمارة وعُمران المكان، بيد أن اللصق والإضافة التراكمية لا يكونا إلَّا للعناصر ازدواجية الفكر." غاية التصميم: إبراز مفهوم معنى المكان Place في العِمارة والعُمران من خلال تركيب ولصق الأجزاء بحيث تحمل فكر مزدوج، بخصائص متناقضة، من أجل تحقيق إحساس متمايز للمكان من خلال: أ.) محاور ذات اتجاهات مختلفة، ترتبط مع بعضها عبرَّ كتل بنائية تحمل توجهات انتقائية تمثل عِمارة وعُمران مدينة روما، ب.) صُنع نموذج حضري لجماليات الإثارة البصرية غيرَّ المتوقعة. ، ج.) تراكيب فراغية حضرية تنسج علاقات متناقضة، د.) اعتماد عنصر المفاجأة في تغيير اتجاهات الكتل والمحاور، هـ.) فكر السياقية من خلال احترام العلاقة المتناقضة بين الداخل والخارج، و.) فراغات حضرية مُجرَّدة، ز.) إحياء الذكريات بأسلوب مثير.من أهم أهدافها تحقيق: "جماليات التصميم من الطبقات المضافة، فالتراكم الطبقي يخلق مسقط المدينة، لصنع تكوين متزاحم غني، مع تكرار غيرَّ مُتطابق لصنع التمايز.

شكل (4): أحد المشروعات في أوربا التي تتبني فكر الملئ الفراغي[27].

ج–عِمارة وعُمران نصية: دلالاتية/سيميائية Semiology [28]

تقوم علي النظر إلى عِمارة وعُمران المدائن الحضرية بكونها (مجازًا) نصًا متكاملًا (أو مجموعة من النصوص)، شارحة للتجربة الإنسانية، فالتعامل معها بذات الطريقة التي نتناول بها النصوص الأدبية في علم المعاني/الدلالاتية؛ ومن هنا فالعمارة والعُمران عبارة عن فعل لدلالات لها عدة احتمالات، كما وباعتبار أن عِمارة وعُمران المدينة مكونة للتجربة النصية خلال فهم كينونتها البنائية/المادية (الواقع البصري/المرئي الظاهر) والأخرى الإنسانية (الواقع الوعيي/المختبئ)، فإنه يجب فهمها من خلال تلك الواقعتين ممزوجتين دونما انفصال، وتبدأ عملية التأويل من قراءة الظواهر وفهمها والوعي بها، انتقالًا إلى مُسببات بناء التجربة بكاملها، ومن ثم فالتركيبة الهيكلية والبشرية للمدينة الحضرية تُرى من خلال تجربة أو عدة تجارب تصنعها مكونات البناء استدلالًا بالتجربة الإنسانية الحادثة في المكان.

د–عمارة وعمران نسقية: فرض النسقية نظرية لغة الأنساق [7]

طريقة تفرض على المصمم الكشف عن الطريقة التي تَنتِج بها العِمارة والعُمران دلالاتها، فلن يتسنى ذلك– من الناحية الإجرائية– إلَّا بالتركيز على الاستعمالات الاستعارية للمنتج، وتجاوز أبعاده النفعية المباشرة، لأن العِمارة والعُمران بقدر ما يوجدان داخل عالم الأشياء، كجزء لايتجزأ

منها، بقدر ما تنفصل عن الأشياء لتندرج ضمن حقل الثقافة، وذلك بفضل تشكلها كدال، وبفعل قدرتها على توليد الدلالات، من هنا بالطريقة الرجعية تستخدم تلك الدلالات في استعارة تمثيلية أو تشبيهيه، بعيدًا عن التقليدية، لإنتاج عِمارة وعُمران ذات دلالات معرفية جديدة، لها دور في التأثير على الخيال في نواحي ابتكار طرائق لتحليل النسق وفروعه من خلال التقارب التبادلي غيرَّ الموجه بين العناصر. إذ أنه إذا كان النسق يعتمد على التجانس، واتباع القاعدة المنطقية لتكرارية العلاقات في ظروف وحيزات مشابهة، إلَّا إنه بكسرِ القاعدة النمطية يُمكِن خلق أنساقًا قد تبدو خيالية. ومن توصيفاتها أنها: أ.) "اتجاه مناطه الإحاطة الفكرية بكافة عناصر التركيبة المتكاملة لعناصر العِمارة والعُمران، باعتبار أن كُلَّ واحدة من تلك العناصر وحدة أولية ذات فروع أقل، بيد أن هناك علاقة تجانس داخلية بين كُلِّ تلك الفروع، كما وأن العناصر والفروع تعمل كُلَّها وفق تباديل وتوافيق مختلفة، في سياق، لتُحَقِق منتجًا يلبي غاية الغرض منه."، ب.) "تابعة لنظرية ترى العِمارة والعُمران (باعتبارهما نماذج تطبيقية) تمثيلًا لنسقًا تواصليًا، إذ فهي مُنتجات بمثابة لغات لها قوانينها ومنطقها وأسرارها أيضًا.

شكل (5): أيَّ بيئة مُشيدة مثل «اللغة» التي تتكون من عناصر مختلفة محددة، بعضها واضح وبعضها خفي، وكمثل أيَّ لغة يمكن استخدامها لكتابة الشعر الجميل أو الشعر الركيك، "أن في عناصر من هذه اللغة كيانات تسمى أنساق (المصدر: الباحثة).

هـ- عمارة وعمران مُستدامة/بيئية/خضراء

تعدى مُصطلح "عِمارة وعُمران خضراء" في العقد الأول من الألفية الثالثة، ما يُشار إليه في مُصطلحات مُنتصف ونهاية الألفية الثانية، ليُصبح مفهومه: "عمارة وعُمران الكتلة النقية فائقة الضخمة، بل والمبالغ فيها، بأساليب إنشاء، ومواد بناء، ومعالجات أغلبها اصطناعية، دون الارتباط بأيٍّ من استعمالات موادِ بناء تقليدية طبيعية ومحلية، بل أنه يتفنن في استعماله لمواد وأنظمة بناء مُستحدثة، مُعالجة بطرق هندسية وتقنية فائقة المُعاصرة، للتحكم في التأثيرات البيئية والمناخية، مع الاستعانة بعلومٍ وأنظمةٍ واتجاهاتٍ للتصميم البيئي، مع إضافة أنظمة وتقنيات الحاسوب الرقمي إليها، ليُصبح اتجاهًا مُعاصرًا يُمجد العلاقة، أو توافق، العِمارة والعُمران والهندسة التطبيقية."، مع انحصار مُصطلح "البناء الأخضر المُستدام" ليُصبح تعبيرًا عن "عِمارة وعُمران الكتلة النقية ذات المقياس الصغير، مع ارتباطه الشديد باستعمال مواد بناء تقليدية محلية، وبأنظمة بناء تقليدية، ليُصبح اتجاهًا مُستفيدًا من توافق العِمارة والعُمران مع أنظمة وتقنية علوم البيئة، أو التحكم البيئي (اتجاهات المناخ الحيوي)."، ليظل كلا المفهومين تطويرًا مقبولًا لمُصطلحين هما: التصميم البيئي، وعِمارة وعُمران توافق/مواءمة بيئية، إنما يظل بعيدين كُلّ البعد عن عِمارة وعُمران نسمية.

و- عِمارة وعُمران القياس/التناظر التشبه الجزئي Analogy

التشبه الجزئي يأتي بمعنى التعبير عن أشياء إما مأخوذة عن الكائنات الحية إما مرتبطة باعتبارات وظواهر كونية، معناه المقاربة بين ذاك وتلك، أيّ إلى أيٍّ حد هذا الشيء قريب من وجهة نظرك إلى ذلك الشيء الآخر؟ بمعنى هل خصائص العِمارة والعُمران الظاهرة يُمكن أن تُمثل لها شيئًا ماديًا قريب منها أو شبيه بها أو ما يُمكِن أن يقاس عليه ليكون مثله؟ إنما هي ليست مثل: التماثل/التمثيل الشكلي التام أو حَتَّى التصوير."بيد أنه كما هو حادثٌ في عِمارة وعُمران الكتلة في العالم التمدين واصل الاتجاه العضوي تواصله في تزامن مع باقي الاتجاهات، فانتقلت أفكار الاستعارة إلى مجال التصميم الحضري لترى أفكار تعتمد على التشبه الجزئي. فالمدينة ومخططات التصميم يمكن أن تحملَ تمثيل معنوي لما هو حادث قياسًا في الجسم البشري، أو عن عكس صورة الكائنات الحية في تصاميم التشكيل. كما ابتدعت آليات القياس/التناظر لتكون أدوات المصمم الحضري لتحقيق هذا التشبه، الذي قد يكون عن طريق التشبه باستعارة الخطوط المتعرجة والملتوية من الطبيعة للإيحاء بإحساس تعطيه تلك التعرجات والانحناءات بأنك عند مجرى نهر مثلًا.

شكل (6): مدينة الجميرا بدبي بنيت علي مبادئ نظرية القياس بالإضافة إلي مبني برج العرب (إسفل الصورة العلوية) الذي يناظر أجنحة الطائر [27] [29].

فعند قياس الاستعارة التشبيهية لا نقيسها بمدى التطابق، إذ فليس من الضروري أن تكون كُلَّ تعرجاتٍ وانحناءاتٍ

هي لمجاري الأنهار، وإلاّ هنا أصبحت تمثيلًا شكليًا متطابقًا. يتطلب التشبه الجزئي ثقافة ومعرفة وملكة خيال عالية لتجيء فيه أفكار الاستعارة المجازية فيُصبِح طريقة في التصميم تميل للتعبير عن تيار الفيما- وراء الطبيعة ميتافيزيقا، من مثل استعارة: أ.) رمزية سيمبوليك من الأساطير والتاريخ وفكر المجتمعات، ب.) هجينة هايبريد بمحاكاة أشكال مستمدة من الموجودات في الطبيعة وعِمارة الكون الثاقب، ج.) نفس- غيبية/ طبيعية سيكو- فيزيكال من النواحي المعنوية الداخلية، د.) هندسة الأسطح المرنة فراكتل، بالاستعانة بأنظمة الحاسوب المتقدمة الرقمية ديجيتال. كما أن الواقعية Realization عكس التجريد Abstraction؛ إذ يمكن أخذ فكرة مجردة والبدء منها الوصول إلى شكل حقيقي وواقعي، وهذا يطلق عليه التناظر في عمليات ابتكار أو ابتداع فكر تصميمي محدد. حيث يمكن تصور مشروع ما تم إلى المناظرة الأولية ثم بنائه مرة أخرى من واقع خيال المصمم ومتطلبات مشروعة إلى المشروع الجديد. التناظر يمكن أن يأتي من أي شيء في الطبيعة، من مجموعة من المواسير والتخيل أنها تتحول إلى عمارة عالية متعددة الأدوار أو الحلزوني البحري وتحوله إلى مبنى مدرجات كالحلزون (أوبرا سيدتي) من أشكال الأشرعة ومشروعات النخيل(مدينة الجميرا) العملاقة في دبي.

6- خاتمة وتوصية ودروس مستفادة

على الرغم من كُلٍّ ما فات بقي التصميم الحضري فن علمي مجهول الهوية حال التعامل مع بناء عِمارة وعُمران المدائن الحضرية العربية، سواءً في حالة إعادة بناء/تأهيل المدائن القائمة، أو في مراحل الاستحداث وتنمية المستقرات الحضرية الجديدة في الفكر التطبيقي. أما على المستوى المدرسي التعليمي في مؤسسات تعليم العِمارة والعُمران فالحال يعد أكثر ازدهارًا فالمختصين بالعشرات، المقررات الدراسية فائقة الروعة، تملأ الأرجاء، أما في مجال الممارسة الاحترافية المهنية، فالبعض يكاد يُجزم، بأن هذا العلم ما زال الحاضر الغائب في إعادة التأهيل والاستحداث. فالكلام لا ينقطع في الميدان عن دور المصمم الحضري، إنما عند التطبيق فلا توجد مدينة حضرية عربية وحيدة (إلّا قليلًا جدًا) تحترم العلاقة بين المعالم التذكارية والفراغات الحضرية، بل أن المدينة المصرية، ومثلها كافة المدائن الحضرية العربية، لا يوجد لديها ما يُمكن تحليله في أنماط الأنسجة للوصول إلى نمط فراغي تشكيلي مفرد محدد، أو حَتىَّ على مستوى التجربة الحركية الفراغية المتتابعة، فلا نص درامي، ولا سياق، ولا طابع ولا هوية، وبالطبع فلا استدامة ولا خضار بيئي. فالكُلّ يتكلم في الندوات والمحافل المجتمعية عن الاستدامة وقدرة المدائن الحضرية على الاستمرار، عن عِمارة وعُمران المدائن الحضرية الخضراء، إنما لا توجد مدينة حضرية واحدة تُطبق مباديء وأسس التصميم الحضري المتداولة مُنذ منتصف القرن الفائت، التي بنى الغرب الأمريكي والأوربي، ولعله الأسيوي أيضًا عِمارة مدائنه الحضرية وعمرانها، حَتىَّ ليخُيل أن بعض الممارسين في العالم العربي لايعرف حَتىَّ الآن معنى عِمارة وعُمران المدائن الحضرية، أو التصميم الحضري، ولا حَتىَّ يعتقد في أنه فن علمي مُختلف بالكلية عن التخطيط الحضري والإسكان، وإن كان يتكامل معهما بامتياز.

أما الدروس المستفادة لهذا المقال النظامي فتتمثل في:

- تعريف الطلاب وممارسي المهنة أن التصميم الحضري يأخذ غايات الشعب الحياتية مُنطلقًا لتصميم المدائن الحضرية وأمكنة العيش، ومن ثم لم يعد مجال الاختصاص تصميم المدائن الحضرية المجردة إنما تصميم أمكنة لحياة شعوب المدائن الحضرية.
- تعريف الممارسين المهنيين بالمهام الرئيسة لمجال التصميم الحضري- بداية من طلاب أقسام العِمارة والعُمران انتهاءَ بالممارسين في الواقع العملي مرورًا بالباحثين العلميين والممارسين في مجالات الاختصاص المتماسة مع مجال الاختصاص- ذلك قبل انطلاقهم لتعلم أساسيات وطرائق وفنيات ومهارات التطبيق في تمارين مراسم التصميم أو في أروقة واقع الممارسة الفعلي.
- تدريج تعليم مجالات اختصاص الممارسة المهنية في أروقة التعليم المعِماري العُماراني ضمن أربعة مراحل أساسية تبدأ بتعليم: أ.) أساسيات البعد البصري والحسي والمعرفي في مرحلة التعليم الأولى (السنة الثانية) ويدرس فيها الطالب نظريات التحليل البصري: الوضوح والهوية، ب.) أساسيات البعد التشكيلي في مرحلة التعليم المتوسطة (السنة/الفرقة الثالثة) ويدرس فيها الطالب نظريات التشكيل المكاني/الفراغي، ج.) أساسيات البعد المُجتمعي في مرحلة التعليم العليا (السنة الرابعة) ويدرس فيها الطالب أساسيات العلاقة المركبة بين ضوابط السلوك والبعد التشكيلي، د.) المرحلة النهائية التي يجمع فيها الطالب كامل معارفه في مشروعات مُتكاملة مع إدخال البعد البيئي كموضوع عام (الاستدامة/القابلية للعيش/المجال العام/المدينة للشعب).
- توصيف الموضوع العام المتعلق بأهمية ادراج نظريات التطصميم الحضري باعتبارها الغاية الرئيسة لرؤية التعلم خلال السنوات المقابلة وتلك تتعلق بطروح مدائن حضرية قابلة للعيش فيها ويتعلم فيها الطالب أساسيات الاستدامة والمجال العام ومدائن حضرية للشعب.
- تبويب مجالات الاختصاص المُساندة بحيث يدرسها الطالب في تزامن مع تعلمه الأبعاد الرئيسة في مُقررات دراسية مُستقلة أو اختيارية تتشارك فيه الأقسام الأخرى المتماسة مع مجال اختصاص التصميم الحضري: أ.) الإدراك الحسي:

الوضوح البصري والهوية، ب.) الإدراك المعرفي والتشكيل الفراغي، ج.) الزمن وعِمارة وعُمران المدن: المتتابعات الفراغية الحركية، د.) العوامل السلوكية والتصميم الحضري، هـ.) الثقافة وعِمارة وعُمران المدن، و.) استدامة المدائن الحضرية: مدن المُستقبل/صديقة البيئة، ز.) المجال العام: مدن قابلة للعيش فيها/مدائن للشعب/شوارع للشعب، ح.) التجديد والحفاظ الحضري، ط.) الاستحداث والتشكيل: مدائن المستقبل/صديقة للبيئة.

المراجع

1. K. Lynch, The Image of the City, London: Massachusetts Institute of Technology, 1960.
2. C. Jenks, The Language of Post- Modern Architecture, U.K.: Academy editions, 1961.
3. C. Jencks, Architecture 2000 and Beyond, Success in the Art of Prediction, 2002.
4. G. Shane, Contextualism, A.D. Architectural Design: 2000, 1976.
5. R. Kri Urban Space, London: Academy Edition, 1997.
6. C. Rowe, Collage City, A.R. Architectural Review, 1997.
7. A. Christopher, A Pattern Language, London: Towns, Building, Construction, and New York: Oxford University Press, 1977.
8. A. Christopher, A New Theory of Urban Design, Oxford: Oxford University Press, 1987.
9. T. Schumaker, Contextualism: Urban Ideals and Deformations, Casabella, (360/359), pp. 78-86, 1971.
10. عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة إبن خلدون، بيروت، لبنان: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، 2001.
11. J. E. A. Fleming, The Penguin Dictionary of Architecture and Landscape Architecture, London: The Penguin Group, 1998.
12. J. Jacobs, The Death and Life of Great American cities ،Penguin Books, 1961.
13. A. Rowley, Definition of Urban Design: the Nature and Concerns of Urban Design, Planning Practice and Research, 9, 179-97, 1994.
14. K. Lynch, Good City Form, Cambridge **:** MA, MIT Press**,** 1981.
15. K. Lynch, Urban Design, Madanipour: Macropaedia, Volume 18, 15 edition, 1984.
16. F. Tibbalds, Mind the Gap, The Planner Press, 1988, (pp.: 11)**.**
17. R. T. P. Institute, The Education of Planners, RTPI, London, 1991.
18. A. Vernez-Moudon, A Catholic Approach to Organizing What Urban Designers Should Know, *Journal of Planning Literature*, 1992, P.: 6**.**
19. J. Billingham, Urban Design Source Book, London: Urban Design Group, 1994.
20. Department of the Environment (1995), Urban Design Campaign, London: Department of the Environment, 1995.
21. Ali Madanipour, Ambiguities of Urban Desgni, Architectural Press imprint of Elsevier, Urban Design Readers, Edited by Matthew Carmona and Steve Tiesdell, First Editions 2007. (P.: 23)
22. D. Ilewelyn, Urban Design Compendium, London: English Partnerships, The Housing Corporation, 2010.
23. D. a. M. B. Gosling, Concepts of Urban Design, London: Academy Edition, Martin**'**s Press, 1984.
24. M. Carmona, Public Places- Uraban Spaces: The Dimensions of Urabn Design, New York, Architectural Press, 2010.
25. شيراز إحسان، الأسلوب العلمي في العمارة بين المحافظة والتجديد، بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، 2002**.**
26. R. Krier, Urban Space, New York: Academy edition, Rizzoli, 1979.
27. www.googlephoto.com**.**
28. شرفي عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، الجزائر العاصمة، الجزائر: لدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، 2007.
29. http://nature-wallpapers-sceneries.blogspot.com/2012/06/palm-island-dubai-2.html